ولد له من المقدس ۞ وإن كان هذا منهم عبثا وتمردا وعنادا
ولكسا العز فقد لهدا ولا طلبت لبعوا ولقد جاءهم من ربهم الهدى
وما لهم فيه أكبر السعادة ۞ وسأل عن قول الله سبحانه ولو أننا
نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا
ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ۞ قال محمد
بن يحيى رحمه الله عليه هذا إخبار من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه
وعلى آله بكفر المشركين وأهل الجحود من المعاندين أخبر عز وجل
بما اطلع عليه من قولهم وعلمه من سرائرهم أنهم لا يؤمنون إلا
ولو نزل عليهم الملائكة حتى يعاينوها وكلمهم الموتى وحشر
عليهم كل شيء قبلا مجموعا مشاهدا معاينا حتى يعاينوه ويروا
ما كانوا ليؤمنوا ولا ليرجعوا إلى الله سبحانه ولا ليهتدوا لما قد
علم من تصميمهم على الكفر وبعدهم من الإيمان ثم قال إلا أن يشاء
الله أنما لهم قسرا وأن يدخلهم في ذلك جبرا فأما طوعا من أنفسهم
واختيارا فلا يكون أبدا والله تبارك وتعالى فلا يدخل أحدا في
عبه جبرا وإنما يأمره سبحانه بها أمرا ولا يحمله على معصيته قسرا
ولا يحتم بها عليه حتما ولو كان ذلك كذلك ما حمد مطيعا ولا
ذم عاصيا كما لم يحمدهم فيما أجبرهم عليه من صورهم وألوانهم
بل أمرهم تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلفهم يسيرا وأعطاهم على القليل
كثيرا ۞ وسأل عن قول الله سبحانه ولا تكونن من الممترين ۞ فقال محمد
بن يحيى عليه السلام لم يكن محمد صلى الله عليه وعلى آله من الممترين ولم
يخبر الله عز وجل أنه من الممترين وإنما قال سبحانه لا تكن منهم كما
قال لئن أشركت ليحبطن عملك وهو فلم يشرك صلى الله عليه
وعلى آله نفسه وهذا في اللغة جائز الاستماع كقول الله سبحانه وذا
النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه وهو فلم يظن ذلك
بل أيقن أن الله سبحانه لقادر عليه وقال عز وجل وإن الظن من
قصدوا أنهم منعوا فمنعوا ولم يمنعوا ولكن يقولوا ويقول القائل
عسى أن يأكل وإنما يريد يأكل فأدخل عسى فصارت شكا وليس
بشك وإنما أراد نفسا وهذا في اللغة كثير موجود ۞ وسأل
عن قول الله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسل الذين يقرؤون

الكتاب

الكتاب من قبلك ۞ قال محمد بن يحيى عليه السلام لم يشك رسول الله صلى الله
عليه في شك مما أنزل الله بل هو على يقين بصيرة ولم يقل الله عز وجل إنه
في شك وإنما قال إن كنت في شك وليس هو عليه السلام في شك بل هو
على بصيرة بأمره وعلى يقين مما هو فيه بعيد من الشك والارتياب
ولم يكن أحد من رسول الله صلى الله عليه في شك إلا الأعمى القلب بعيد
الذهن كثير الجهل وهذه المخاطبة في لغة العرب يستعملونها ويتكلم بها
ويخاطب بعضهم بعضا فيها وبها يقول القائل إن كنت في شك من قطع
هذا السيف فجرب وهو لا يشك بل يوقن ويقول الرجل لصاحبه أنا
غدا أنا عسى أن آكل فأدخل عسى لمجاز الكلام وإنما أراد أن يأكل
ولم يكن شاكا في ذلك بل كان قاصدا له ۞ قال الله سبحانه وذا النون
إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه ولم يظن صلى الله عليه أن الله
عز وجل لا يقدر عليه بل هو موقن بقدرة الله ونفاذ أمره وقد يخرج
ظن على الاستفهام كما يقول القائل لم يأكل فلان طعامه ويرى نفسه
أظن أنه لا يحتاج إلى الأكل وهو فلم يظن ذلك وهذا مما تعارفه العرب
في لغتها وجرت في كلامها ۞ ومعنى فسل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك
فإنما أراد عز وجل كتبهم المنزلة وما فيها من القصص وأخبار الأنبياء
صلوات الله عليهم وما لقوا وما امتحنوا به من أممهم مما قص الله عز و
جل عليه من أخبارهم فأقام مقام كتبهم لأنهم لو كانوا قصدوا إلى المسألة
لكانوا في موضع الصدق ولو جهدوا أما خالفوا أمر الله عز وجل ولا
نبيه عليه السلام ولكن حرفوا وكذبوا وغيروا وبدلوا ومن كان
هذه حاله لم يكن في موضع المسألة ولكن الله سبحانه أراد ما في
كتبهم من القصص والأخبار وقد قال الذين آمنوا من مسلميهم هو من كان
منهم مسلما مؤمنا من أهل الكتاب وليس المعنى فيه إلا على ما شرحنا ۞
ألا تسمع كيف يقول الله عز وجل لتنذر أم القرى ومن حولها وأم القرى إنما
هي مكة فأقام القرية مقام أهلها ومثل ما قال وذكر سبحانه في
قصة يوسف عليه السلام حين يقول واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي
أقبلنا فيها والقرية فإنما هي دور وحجارة والعير فهي الإبل والشيء لا يتكلم ولكن
أقام مقام أهلها ۞ ومثل قوله سبحانه وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم
هم والعجل فلا يشرب وإنما أراد حب العجل ومحبته صلوات الله عليه